احياء ذكرى رحيله في خوزستان

الشيخ عيسى الطرفي.. نموذج العالِم القائم لله

الوفاق/ خاص

خوزستان، محافظة لطالما عرفت ببوابة دخول التشيع إلى إيران، وسجلت ملاحم مشرّفة في شتى العصور وعلى مدى الدهور؛ من ميادين الدفاع والحروب حتى سوح الجهاد في مختلف مجالات العلوم. تاريخ خوزستان العريق يروي في طياته حياة المئات من المفاخر والمشاهير والشخصيات؛ منهم الشعراء والأدباء، وكوكبة من الأبطال وشهداء المقاومة، ومنهم مفاخر العلم والإجتهاد. شخصيات شامخة كرّست حياتها المباركة لخدمة الإسلام، وضحّت بنفسها من أجل نشر علم أهل البيت عليهم السلام في شتى بقاع العالم. سماحة آية الله العلامة الشيخ عيسى الطرفي، إحدى هذه الشخصيات التي تعد من مفاخر محافظة خوزستان واعلامها، بحيث نال مكانة رفيعة في العلم حتى شهد له العلماء وكبار عصره بمكانته العلمية البارزة. وعلى أعتاب الذكرى السنوية لرحيل آية الله العلامة الشيخ عيسى الطرفي، نسلط الضوء على أهم المحطات في حياة هذا العالم الورع والمناضل الدؤوب. نجل الشيخ عيسى الطرفي؛ يروي لنا جوانب من سيرة والده:

نبذة عن حياة العلامة الطرفي

والدنا «الشيخ عيسى الطرفي» كان أحد العلماء البارزين الذين قضوا حياتهم في دراسة العلم ونالوا من المتاعب والمصاعب التي تمرّ على طلاب العلم.

هذا العالم الفاضل المتقي كان مُتزّنا وملتزما بالتقوى وكان لا يتجه في خُطاه ومسيرته إلى المسائل المادية والماديات، فلذاكان زاهداً متقياً عابداً بعيداً عن القضايا الماديّة.

من أهم صفاته وسماته هي أنه كان خادماً للناس،كان يقوم بواجباتهم الإجتماعية، لحل مشاكلهم وقضاياهم وإختلافاتهم.

درس العلم في عنفوان شبابه في حوزة النجف العلميّة، التي تعد عش علي ابن ابي طالب(ع) وكانت آنذاك مركزا لعلوم أهل البيت (عليهم السلام).

والدنا من مدينة سوسنغرد ذهب بقصد الزيارة الى مدينة النجف الأشرف، ولكن عندما رأى الحلقات الدرسية آنذاك، عشق تلك الحلقات وأحب أن يكون أحد أفراد هذه الحلقات، فرغم أنه ذهب مع أخواله الى النجف، وكان يتيما حينها وقد أخذ الإذن من والدته، فإستأذن من أخواله للبقاء في النجف الأشرف، فتم بقاؤه بالنجف الأشرف لمدة ٢٠ سنة.

عودته الى آبادان

ثم رجع الى إيران فاستقبله الناس من كل حدب وصوب ولكن أهالي مدينة آبادان كأنما كتبوا كتاباً ووقعوا فيه، وطلبوا من علماء النجف أن يبقى الشيخ في مدينة آبادان، فلبى دعوتهم وبقى في مدينة آبادان.

فلما بقي هناك بنى مسجداً في تلك المنطقة، فأقام الصلاة والتبليغ في هذا المسجد .كان ملتزماً بصلاة الجماعة وبإقامة الصلاة في المسجد حتى في حين السفر، يعتني الى المساجد ويصلي في المسجد.

وكم من مسجد أسسه وكان سبباً لتأسيسه في مناطق كثيرة من خوزستان؛ مثل بناء ٤ مساجد في مدينة آبادان، وفي مدينة الحميدية مسجد كبير وفي مدينة سوسنغرد ايضاً مسجد واحد.

قبل أن تبدأ الثورة الإسلامية قام بزيارة الإمام الخميني (رض)، وكان رحمة الله عليه في منطقة (يخجال قاضي) بمدينة قم المقدسة، وكنت معه آنذاك وكان عمري حينها ١٣ سنة، فزرنا الإمام الخميني(رض) في سنة ١٣٤١ الهجرية الشمسية، وأنا أذكر هذه الكلمة من الإمام الخميني (رض)، حيث قال "المساجد خنادق"، خنادقكم المساجد، إرجعوا وإعملوا وثوروا وآمروا بالمعروف وإنهوا عن المنكر من طريق مساجدكم.

من جملة نشاطات الشيخ رضوان الله تعالى عليه تأسيس اللجنة العشائرية الثورية لإدارة الأمور بعد الخلاء الذي وجد بعد ذهاب الحكومة الشاهنشاهية، وكانت هذه اللجنة ملجأ للمستضعفين ، تقضي أمورهم وتسدّ حاجاتهم وتساعد الفقراء والمحتاجين.

كان يقيم المناسبات الأدبية ويحضر المحافل الشعرية، وعندما كان الشعراء يشتركون في تلك المحافل، كان هو يشوقهم، وفي بعض الأحيان عندما يسمع شعراً قوياً، ومن أجل أن يشوق الشاعر، كان يقوم من مكانه وينادي بأعلى صوته: أحسنت أحسنت، حتى يتشوّق الشاعر.

ايام الحرب المفروضة

عندما بدأت الحرب المفروضة، لبس الشيخ الوالد (رحمة الله عليه) درعه ولباس الحرب ورفع بندقيته وذهب الى الخطوط الأمامية من جبهات الحرب.

كان يتحمّل حرارة منطقة آبادان في الصيف وبرودتها في الشتاء وكان يتحمل عطش وجوع آبادان في أيام الحصار، وذلك دليل على إخلاصه وشجاعته وبطولته وإعتقاده الراسخ بهذه الثورة الإسلامية.

ومن جملة نشاطاته المهمة وهي من مفاخر الجمهورية الإسلامية في جبهات القتال؛ هي إقامة صلاة الجمعة في مدينة آبادان، والتي لم تنقطع حتى لإسبوع واحد.

فإستمرت الحرب وكان الوالد يحارب بكل ما يملك من قوة وكانت له مواقف مشرفة وقوية في أيام الحرب.

كان الشيخ ملجأ لاستشارة الشخصيات الكبار كشخصية الشهيد بهشتي والشيخ رفسنجاني، وحتى في أمور الحرب كان الشهيد صياد شيرازي يلتقي مع الشيخ عيسى الطرفي، ويأخذ بآرائه ونظريات الشيخ وفي قضايا الثورة طلب منه الإمام الخميني (رض) أن يقيم الصلاة في مدينة سوسنغرد، فلبّى نداء الإمام وجاء الى مدينة سوسنغرد وأقام صلاة الجمعة.

ولكنه مع كل الأسف على أثر الوعكات الصحية، لم يكمن له الاستمرار، ففي مراحل متعددة، أصيب بعدة جلطات، نقل على إثرها إلى المستشفى، ولم يفارقه المرض، حتى قضى نحبه، في سنة ١٣٦١ للهجرة الشمسية وتوفي رحمة الله عليه.

قالوا عنه

آية الله السيد محمد علي الموسوي الجزائري/ مندوب الولي الفقيه السابق في خوزستان وزعيم الحوزات العلمية بالمحافظة:

في الحقيقة أقول لكم بكل أسف وحزن أبدأ بالكلام عن صديقي المكرّم سماحة آية الله الشيخ عيسى الطرفي قدس الله نفسه الزكيّة، لأني لا أستطيع نسيان هذا الصديق العالم المجاهد الفاضل الثوري.

تتلمذ على يديه أفضل العلماء؛ مثل الشيخ علي الكرمي رضوان الله تعالى عليه، وكان من كبار العلماء والعرفاء، يعني بما أن الشيخ علي الكرمي كان عالماً وفي نفس الوقت كان عارفا أيضاً، مع ذلك هو كان يقول أنا درست عند الشيخ عيسى الطرفي.

آية الله الشيخ عيسى الطرفي كان من المبلغين للإمام الخميني (رض) بين أهالي عرب آبادان وخرمشهر، ومن السابقين الى تعريف شخصية الإمام الخميني (رض) هناك، بحيث توجّه الناس الى الإمام وقلّده، بتعريفٍ من الشيخ عيسى الطرفي.

شكل آية الله الشيخ عيسى الطرفي لجنة العشائر في مدينة آبادان وكان يستفيد من هذه اللجنة، كل الأقوام والعشائر المتواجدة هناك.

آية الله الشيخ محسن الحيدري ممثل أهالي خوزستان في مجلس خبراء القيادة:

كان رجلاً مخلصاً متديناً، صاحب أخلاق كريمة، في نفس الوقت الذي كان يحمل متانة من ناحية الشخصية،كان يحمل أيضاً خلق ساميّة ومتواضعة، ويأنس اليه القريب والبعيد.

المرحوم الشيخ عيسى الطرفي كان عالماً حقاً وفاضلا ومتقنا للعلوم الدينية والأدبيّة، درس المقدمات عند اساتذته في خوزستان ثم هاجر إلى النجف الأشرف.

حضر عند مشايخ النجف الأشرف وعلمائها، إلى أن وصل درجة الإجتهاد وكرّس عمره في سبيل الدرس والتحقيق والبحث والتدريس، حينما كان في النجف الاشرف وحينما رجع، وكان يحفظ بعض النصوص الفقهية، مثل أرجوزة السيد مهدي بحر العلوم.

كان المرحوم الشيخ عيسى الطرفي من أوائل العلماء البارزين والمجاهدين الذين لبّوا نداء الإمام الخميني (رض)، وواكبوه في حركته الجهاديّة، وكانت تصدر من الشيخ عيسى الطرفي بيانات؛ قبل انتصار الثورة الإسلامية، وكان يقوم بتوجيه أبناء العشائر العربية خاصة نحو الثورة، وكان بيته مليئاً بالثوار والمجاهدين.

أصبح ذا موقع إجتماعي مرموق في كل مناطق محافظة خوزستان خاصةً بين عشائر آبادان وأيضاً مناطق وعشائر دشت ازادكان والهويزة ومدينة بستان وأهواز ومدينة الحميدية أيضاً والمناطق الأخرى، وتقبلوه كعالم ديني وفاضل، وإنضم الى هذه الجهات السياسية والجهادية.

حينما بدأت الحرب المفروضة كان هذا الرجل العظيم موضع ثقة لقادة الجيش والحرس من جهة وموقع ثقة لأبناء العشائر العربية من جهة أخرى، وكان يدلي ببياناته الجهادية والثورية من خلال الإذاعة والتلفزيون.

كانت منطقة آبادان مهددة بالخطر جداً، ولكن هو لازال بكل طمئنينة في بيته، ويقيم الصلاة، ويتردد في مابين المجاميع العشائرية، المجاميع المقاتلة وبكل رحابة صدر. وكان يواكب المجاهدين والمقاتلين في خنادقهم ويذهب اليهم، ليزورهم ويشجهم على القتال.

نظراً لمعروفيته مابين العلماء وعند الإمام خميني (رض) وبواسطة جهود ومتابعات سماحة اية الله السيد الموسوي الجزايري الذي كان آنذاك إمام جمعة أهواز وممثل الإمام في خوزستان، تم تعيينه من قبل الإمام الخميني(رض) إمام جمعة لمدينة سوسنعرد.

آية الله الشيخ عباس الكعبي ممثل أهالي خوزستان في مجلس خبراء القيادة:

له فعاليات نشطة في بناء المساجد والحسينيات وتربية الكوادر المؤمنة الصالحة وكان له دور بارز في تربية الجيل المؤمن الصالح.

حمل مشعل الثورة الإسلامية لأهالي خوزستان وكان فاعلاً ونشطاً في نشر فكر وخط الإمام الخميني(رض) ومدرسة الإمام الراحل،كما كان له مساهمة بارزة في اذاعة آبادان في شدّ الجمهور للثورة الإسلامية، من خلال خطاباته وأشعاره ومن خلال تواجده بين أبناء العشائرو القبائل العربية في المساجد والحسينيات والمضايف والدواوين، وكان يحثهم على الوحدة والوئام والبصيرة ومواجهة الفتن والمؤامرات التي تحاك من قبل الأعداء آنذاك.

> كان الشيخ ملجأ لاستشارة الشخصيات الكبار كشخصية الشهيد بهشتي والشيخ رفسنجاني، وحتى في أمور الحرب كان الشهيد صياد شيرازي يلتقي مع الشيخ عيسى الطرفي، ويأخذ بآرائه

> عندما بدأت الحرب المفروضة، لبس الشيخ عيسى درعه ولباس الحرب ورفع بندقيته وذهب الى الخطوط الأمامية من جبهات الحرب وذلك دليل على إخلاصه وشجاعته وبطولته وإعتقاده الراسخ بالثورة الإسلامية وكان يقيم صلاة الجمعة في مدينة آبادان، ولم تنقطع حتى لإسبوع واحد

عندما بدأت الحرب المفروضة من قبل النظام الصدامي، كان الشيخ عيسى الطرفي رضوان الله تعالى عليه، من السباقيّن في ميادين الجهاد، حيث يحضر الجبهات إلى جنب المدافعين الكبار، وكان المجاهدون ينشدون اليه عندما يرونه بشيبته وبالباس العسكري يتواجد في المتاريس وفي الخنادق، وفي الواقع كان حاله كحال المجاهدين العاديين في الحرب.

نستطيع أن نقول إن الشيخ عيسى الطرفي نموذجا للعالِم القائم لله، الذي سعى لإحياء أمر الأمة والذي جاهد وناضل من أجل حاكمية الإسلام ضد الطاغوت، وضد النظام الصدامي وكذلك ضد أمريكا والصهائية، وكان فاعلاً في ميدان ربط الأمة بالإمامة الإلهية، وفي ربط الأمة بالثورة الإسلامية والجمهورية الاسلامية والدفاع عن هذا الخط المبارك.

حقيقة الأمر أن طلبة الحوزات العلمية والفضلاء والأساتيد خاصة في محافظة خوزستان، ينبغي أن يتعرفوا على شخصية هذا العالم، وأن يقتدوا ويتأسوا به، وكذلك يُعرّفوا هذه الرموز والشخصيات كأمثال الشيخ عيسى الطرفي والمرحوم آية الله الشيخ محمد الكرمي والمرحوم المجاهد الشيخ هادي الكرمي، الى الأجيال المعاصرة والشباب، حتى يعرفوا هذه الشخصيات الرسالية التي لها حق على مجتمعنا.

أبرز المحطات في حياته

ولد عام ١٢٩٣ هـ.ش في قرية ابو حمّيظة التابعة لمدينة سوسنغرد بمحافظة خوزستان، وترعرع بها، ثم انتقل الى النجف الاشرف ومنها الى مدينة آبادان فسكنها بطلب من اهلها.

عرفت عائلة العلامة الطرفي بالعلم والادب والتديّن، ونشأ وترعرع في كنف عائلة متدينة، وعندما بلغ الـ٦ من عمره بدأ والده بتعليمه قراءة القرآن الكريم وبسبب استعداده الذاتي تلقى القرآن الكريم بسرعة فائقة.

قرر العلامة الشيخ عيسى الطرفي ان يهاجر الى النجف الاشرف، لينال الحظ الوافر من علمها. فذهب العلامة المجاهد إلى النجف وكان له من العمر حينئذ عشرون عاما؛ وأقام في حلقاتها الدرسية نحو عشرين سنة.

تتلمذ ودرس العلامة الشيخ عيسى الطرفي عند كبار العلماء ومن أشهرهم؛ آية الله العظمى الشيخ محمدحسين كاشف الغطاء، آية الله العظمى الشيخ اللنكراني، المرجع الديني آية الله العظمى السيد الخوئي وآية الله العظمى السيد الحكيم.

من أبرز مؤلفات العلامة الشيخ عيسى الطرفي؛ هي: «مجموعة مذكّرات»، «الخطابات والنداءات» (جمعها السيد محمد محمود الغريفي في كتاب سماه صوت الثورة)، كما له منظومة في النحو.

توفي آية الله الشيخ عيسى الطرفي في شهر مرداد عام ١٣٦١ هـ.ش، عن عمر يناهز ٦٨ عاماً بسبب مشكلة في القلب.

كتب الشاعر الحزباوي بحقه رثاء

وهذا ما قاله الشاعر الخوزستاني عباس الحزباوي بحق المرحوم آية الله الشيخ عيسى الطرفي، في قصيدة شعبية رثا بها هذا العلامة الرباني الكبير، بعد رحيله، حيث أنشدها في نفس المأتم، ومن أبيات هذه القصيدة:

اليوم محراب العبادة مِحزن ومِعلن
جِداد
والبلد للشيخ عيسى لبست إهدوم
السواد
...
شيخ عيسى الناس مِنّه إدروس للثورة
تعلّم
ليلة كَضّاه بالعبادة ويوما كَضّا
بالجهاد
شيخ عيسى كِضا عمره كلّه للإسلام
خدمة
مشهد وقم إله شِهدَن والنجف بِشهَد
العِلمِه